**السنة الثالثة /أدب**

**قضايا النص الشعري القديم**

**أ د فريدة مولى**

**المحاضرة الثالثة: أثر الإسلام في الشعر العربي القديم**

 **أحدث مجيء الإسلام انقلابا في جميع مناحي الحياة الجاهلية، ولعلّ أولى ثمراته القضاءَ على العصبية القبلية، ذلك الرباط الذي كان في الجاهلية يشد الفرد إلى الفرد ويشد الجماعة إلى الجماعة على أساس من القرابة العرقية، ولما جاء الإسلام ودخل فيه العرب والعجم والروم تبدّل الإسلام بالعصبية الجاهلية التي هي أساس "القبيلة" جامعةً روحيةً هي "الأمّة، وقد قوّض الإسلام الحدود التي كانت قائمة في الجاهلية بين الطبقات الاجتماعية: ألغى الرقّ وجعل المسلمين إخوةً لا فضل لأحدهم على الآخر إلاّ بالتقوى. وكذلك شجب الإسلام الفروق الاجتماعيّة وحاول القضاء عليها بالزكاة: وذلك بأن جعل للفقراء حقا في أموال الأغنياء، فالزكاة في الإسلام ليست صدقة يتبرع بها الغني للفقير، بل هي حق للفقير يقتضيه من الغني بوساطة الدولة. ثم إنّ الإسلام حث الأغنياء على الصدقات المختلفة فوق ما أوجب عليهم من الزكاة، أما من الناحية الأدبية فقد كان للإسلام فضل كبير على اللغة العربية وآدابها، إذ حفظها من الضياع وخلّدها بخلوده، ووحّد لهجاتها في لهجة قريش وحملها من موطنها الأصلي بلاد العرب إلى كل أصقاع الأرض في البلدان المفتوحة، كما وسّع عالمها اللغوي بإدخال مصطلحات دينية جديدة ومعاني شرعية وألفاظ أجنبية (فارسية ويونانية ورومية وحبشية لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية)، كما أحدث تغييرا وتطورا في القصيدة العربية رغم احتفاظها ببنيتها الجاهلية وأغراضها التقليدية .**

**موقف الإسلام من الشعر:**

 **جهد الدارسون في إثبات بطلان الاعتقاد السائد في أن الشعر قد خبت جذوته وتقهقر في صدر الإسلام (أي بعد ظهور الإسلام)، وأن عدد الشعراء قد قل، وتضاءل عددهم، كما أن الناس عزفوا عن هذا الفن الذي طالما استأثر اهتمامهم وحبهم أمدا طويلا قبل الإسلام، فقد رأى هؤلاء المنكرون الدور الكبير الذي نهض به الشعر في الخصومة بين المسلمين والمشركين، وتُثبت أيضا استماع الرسول ز وأصحابه إلى شعر الشعراء المسلمين، وحثهم على المضي فيه دفاعا عن الإسلام وهجوما على خصومه. كما ذكر هؤلاء الدارسون ما كان للفتوح الإسلامية من أثر في إذكاء روح الشعر عند كثير من المقاتلين حتى تركوا تراثا ضخما من القصائد والمقطوعات وإن تكن مختلفة في مستواها الفني، ذلك أنها كثيرا ما كانت تفتقر إلى الناحية الفنية، لاعتمادها التشابيه والصور البلاغية المتوارثة، ولاعتمادها الأسلوب الواضح السهل الذي يجعل في كثير من الأحيان القصيدة مجرد (ناقلة أخبار) كالجريدة اليومية، وهذا إذا ما قورنت بالقصيدة الجاهلية. وربما يكون الزعم القائل بركود الشعر بعد الإسلام يستند إلى الإحساس بضعف المستوى الفني فيه، خاصة ما نجده في الشعر السياسي الذي فقد ما في الشعر الجاهلي من خيال حي واقتدار لغوي، والتصاق بالطبيعة والمزاوجة بينها وبين مشاعر الإنسان، وأنه في كثير من الأحيان أصبح أقرب إلى النظم منه إلى الشعر، بالإضافة إلى كل ذلك ذكر الدارسون أن ما ورد في القرآن الكريم من إشارات إلى الشعر والشعراء قد يثير بعض اللبس، فنظن أن القرآن قد عادى هذا الفن وقائليه، فبينوا أن الآيات التي وردت فيها هذه الإشارات([[1]](#footnote-2))، لم تقصد إدانة الشعراء جميعا، وأنها استثنت المؤمنين الصالحين من الشعراء، كما أنها لم تتحدث عن الشعر بخير أو بشر، والآيات جميعا تنفي أن يكون النبي شاعرا، وذلك لاعتبارات كثيرة لعل أهما ارتباط ظاهرة الشعر في أذهان الجاهليين بالجنون والشياطين، إضافة إلى ما عرف عن بعض الشعراء في جاهليتهم من مسالك خلقية تتسم بكثير من اللهو والإقبال على الملذات المادية، ولو ارتبطت كل هذه الصفات بالرسول ز فإنها جديرة بأن تناقض معنى الرسالة والوحي.**

**وقد أجهد هؤلاء الدارسون أنفسهم لكي يوضحوا أن القرآن لم يصدر حكما بعينه على الشعر ولم يتخذ منه موقفا خاصا، وإنما نفى عن النبي ز مرة بعد مرة أن يكون شاعرا من الشعراء، وأن تكون رسالته كرسالتهم، يقول تعالى: ﴿إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين﴾([[2]](#footnote-3)).أما الشعراء الذين تم ذكرهم في القرآن فهم الكفار الذين كانوا يهجون الرسول ز، ويقولون فيه الكذب والباطل، وكذلك من كان على شاكلتهم من الشعراء الذين يخوضون في الباطل ويكذبون ويهتكون الأعراض، ويقدحون في النساب، ويفرطون في المدح والقدح.في حين استثنى القرآن الشعراء المؤمنين الملتزمين بأوامر الله ونواهيه، شريطة أن يكون شعرهم في خدمة الدين الجديد، ويظل في دائرة المباح من القول، وفي حدود الحلال من الكلام.**

**النبيّ (ص) والشعر:**

**صرف الله النبي (ص)عن قول الشعر، فلم يُؤثر عنه أنه أنشأ شيئا منه وهو القادر عليه، اللهم إلاّ ما وقع له من غير قصد، ولم يكن إعراض النبي (ص) عن قول الشعر وروايته إغماضا لشأنه، أو صرفا للعرب عنه، فإن المعروف أنه كان يقبل على الشعراء، ويحسن الاستماع لقولهم، ويثيب من يمدحه منهم، فقد خلع على كعب بن زهير بردته التي اشتراها منه معاوية بثلاثين أله درهم، وتوارثها الخلفاء بعده، يلبسونها في الجُمَعِ والأعياد، كان يُكثر من استنشاد الخنساء في رثاء أخيها صخر، ويقول : "هِيهِ يا خُنَاسُ"، بل لقد كان يدعو إلى قول الشعر، ويستعين به في نشر دعوته، وهو الذي اتخذ حسان شاعره، وأمره أنْ يهجو كفار قريش، وكان يقول له: "شُنَّ الغارةَ على بني عبد منافٍ، فوالله لَشعرُك أشدُّ عليهم من وقع الحسام في غبش الظّلام"، وكان يثيبه ويدعو له).وقد قال الرسول (ص): (إنّ من الشعر لحكمة)، وهؤلاء خلفاؤه ومتبعو سنّته لهم من الشعر أقوال مأثورة، وطالما دعوا إلى العناية به، وحملوا على الحرص عليه، وأخذ النشء من أولاد العرب بأدبه. فهذا عمر بن الخطاب يقول: "روُّوا أولادكم ما سار من المثل، وحسُن من الشعر".ولا شك في أن موقف الرسول ز ومن بعده الصحابة من الشعر والشعراء تجسيد لموقف القرآن الكريم، إذ رُوي عنهم جميعا أنهم ذموا الشعر ونهوا عن بعضه في مجالات معينة، وأنهم أيضا أبدوا إعجابهم بالشعر وأقبلوا على الشعراء وشجعوهم واستنشدوهم في مجالات كثيرة.**

**أثر الإسلام في الشعراء المسلمين وشعرهم:**

**وإنّ من الشعراء من وصل به الانبهار من بلاغة القرآن، والعكوف على تذوقها وتزويد النفس من محاسنها، أنْ انقطع عن قول الشعر كلبيد (وهو من المُجلِّين بين شعراء الجاهلية)، فلم يقل في الإسلام إلاّ بيتا واحدا، وأما من لم ينقطع منهم عن قول الشعر، فقد تركت فيه مفاجأة القرآن أثرا من الضعف جليا أجمع النّقدة للشعر على لمسه وإحساسه، ومن هؤلاء حسان بن ثابت الذي كان في إسلامه تامّ الخضوع لأوامر الدين، فلم يهجُ إلاّ أعداء الإسلام، ولم يفخر إلاّ بالمقدار المباح، ومن الشعراء مَنْ أسلم ولكنه كان رقيق الإسلام فلم يتقيد بقيوده، ولم يتحرّج عن منهياته كالحطيئة؛ فإنه ظلّ يهجو ويشبِّبُ، ولعله لم يكن يَحْفِلُ بالاستماع للقرآن كثيرا حتى يتأثّر بأدبه وأسلوبه، لذلك ترى شعره في الإسلام بمثابته في الجاهلية. ولقد بلغ من تمسك الحطيئة بجاهليته أنِ استمرّ يهجو حتى حبسه عمر بن الخطاب لهجائه للزبرقان بن بدر، ثم أحضره لقطع لسانه، فلم يُنجه إلاّ شفاعة الشّفعاء وتوبته، وأخذه العهد على نفسه ألاّ يعود إلى هجاء أحد، فأعفاه عمر من قطع اللسان، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم).ولم يكونوا يحرصون على الشعر ويدعون إليه لمحض اللهو به، ولما فيه من تأديب للنفس فحسب. بل لقد كانوا يجدون تعلمه ضروريا لفهم القرآن، فقد قال ابن عباس: "إذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب") ، أما عن أثر الإسلام في شعرهم فقد هجروا كثيرا من أغراض الشعر التي تعدّ من باب الغواية والفحش كالغزل الماجن والمدح المتملق المبالغ فيه والفخر الباطل والهجاء اللاذع الذي يمس الأعراض والعورات.**

**موضوعات شعر صدر الإسلام:**

**إن المتمعن في شعر صدر الإسلام (المخضرم) يستطيع أن يميز ثلاثة موضوعات رئيسية: أولها الدعوة الإسلامية وما يتصل بها مكافحة المشركين والمرتدين، وثانيها موضوع الفتوحات الإسلامية، وثالثها الفتنة التي أعقبت مقتل "عثمان بن عفان"، وقد انضوت تحت هذه المواضيع مجموعة من الأغراض الشعرية هي المدح والهجاء والفخر والرثاء التي تأثرت بالدين الجديد وتعاليمه.**

**1 ـ شعر الدعوة الإسلامية:**

**واكبت المعركة الشعرية معركة السلاح بين المشركين والمسلمين، إذ وقف كل فريق يعضد محاربيه ويدافع عن عقيدته، وإذا كانت مكة قبل الإسلام لم تشتهر بشعراء فحول، فقد لمعت فيها أسماء بعد الإسلام، من خلال معاركها مع شعراء المدينة المنورة، ومن أمثالهم: أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن الزبعرى، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي لهب، وقد تصدى هؤلاء الشعراء للدعوة الإسلامية يهجون ويهاجمون الرسول ز وصحابته، يؤازرهم في ذلك بعض شعراء اليهود، ويدور شعر هؤلاء في فلك القيم الجاهلية من الرغبة في الثأر، والتشفي، كما هجا هؤلاء المسلمين جميعا.**

**وقد تصدى لهؤلاء الشعراء ثلة من شعراء المسلمين كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، انضم إليهم بعد فتح مكة (السنة الثامنة بعد الهجرة) الشعراء الذين تابوا وأسلموا، بعد أن كانوا أعداء للدين الإسلامي، وقد كان شعرهم مليئا بالأسى والحسرة، وقصيدة كعب بن زهير "البردة" خير دليل على ذلك.**

**وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى الشعر الذي قيل في حروب الردة التي تركت أصداء في شعر الشعراء، فمنهم من وقف في صف المرتدين ساخرا من أبي بكر الصديق وخلافته، ووقف في المقابل شعراء آخرون إلى جانب أبي بكر يوجه بعضهم النصح والتحذير، والبعض الآخر يُشيد بفعل المسلمين.**

**2 ـ شعر الفتوح: بعد حروب الردة انطلق العرب ينشرون الإسلام فيما حولهم من البلاد، فبدأت حركة الفتوح، ففُتحت بلاد فارس والشام ومصر، وانطلق الشعر مع هذه الفتوح يسجل معاركها، ويصور انتصارات المسلمين وبلاء فرسانهم، فلمعت في سماء الشعر أسماء شعرية لم تكن معروفة من قبل من أمثال: أبي محجن الثقفي الذي عرف بحبه للخمر، حتى سجنه "سعد بن أبي وقاص"، فلما كانت معركة القادسية تحايل حتى شارك فيها ثم أعيد إلى السجن، وقد قال فيها شعرا يفتخر فيه بفروسيته، وقد صور الشعراء بطولة المسلمين وحماسهم وفزع جيوش الأعداء، مادحين ومفتخرين وراثين، إلى جانب تصويرهم لما كان يُستخدم في هذه المعارك من أسلحة، وخاصة أسلحة العدو (الفرس) التي لم يكونوا على علم بها.**

**3 ـ شعر الفتنة: بعد مقتل "عثمان بن عفان" اشتعلت نيران الفتنة وتفرقت الجماعات الإسلامية أحزابا وفرقا، وظهر ذلك العداء القديم بين بني أمية وبني هاشم، والذي تجسد في (موقعة الجمل)، وموقعة (صفين)، حيث انقسم المسلمون إلى (خوارج) وهم الذين حرجوا على "علي بن أبي طالب" من جيشه، و(شيعة) وهم مناصرو "علي بن أبي طالب"، وأنصار "معاوية بن أبي سفيان"، و"المرجئة" وهم الذين فضلوا الحياد. وأثمرت هذه الفتنة كثيرا من الأشعار، فوقف بعض الشعراء مع "علي" يؤيدونه، ويبينون أحقيته بالخلافة، ووقف فريق آخر مع "معاوية" يؤيده في دعواه ويفند حجج أتباع "علي"، ويضع قضية الثأر لـ"عثمان" في المقام الأول. كما أن بعض الشعراء تناولوا بألسنتهم "أم المؤمنين عائشة " فراحوا يلومونها على خروجها من بيتها وقد أمرها الله أن تقر فيه، ويتهم بالتحريض على سفك الدماء وإشعال نيران الفتنة، وتفريق كلمة المسلمين بعد اجتماعهم على بيعة "علي بن أبي طالب".**

**وراح شعراء "علي" و"معاوية" يتراشقون بالقصائد كلّ يفند حجة الآخر وينقض أقواله، فتطور أكثر الشعر السياسي، وغزُر الإنتاج فيه بعدما بدأ بين شعراء الرسول ز وشعراء مكة، فاتسعت دائرته فيما بعد لتشمل شعراء الأحزاب السياسية من شيعة وخوارج ومرجئة وحزب معاوية، والشواهد الشعرية كثيرة، فنتاج هذه الفتنة وافر لمعت فيه العديد من الأسماء وتراوحت أشعار هؤلاء بين القصائد المطولة والمقطوعات القصار، وتفاوتت أشعارهم في الإتقان وفي المستوى الفني، ومهما كان من أمر نتاج هذه المعارك فهو يمثل مرحلة من فن النقائض الذي سيبلغ ذروته في العصر الأموي على أيدي الشعراء الفحول: جرير والفرزدق والأخطل.**

**الأغراض التي قيلت في هذه المواضيع الكبرى:**

**إن أهم الأغراض الشعرية التي قيلت في هذه المواضيع الرئيسية لا تخرج عن دائرة المدح والهجاء والفخر والرثاء والوعظ والإرشاد ونشر الدعوة.**

**( أ ) الوعظ ونشر العقيدة: هو شعر الدعوة إلى الدين الجديد، حيث نظم الشاعر المسلم مواعظه شعرا، وهو ما على أن كتاب الله قد بهر هؤلاء حتى أصبح شعرهم ترجمة حرفية لآيات القرآن الكريم، أو لبعض الأحاديث النبوية الشريفة، يقول النابغة الجعدي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **الحمد لله لا شريك له** |  **\*\*** | **من لم يقلها فنفسه ظلما** |
| **المولج الليل في النهار وفي** |  **\*\*** | **الليل نهارا يفرّج الظلما** |

**وهناك نماذج كثيرة من الوعظ والإرشاد عند الشعراء في بداية العهد الإسلامي، وهو ما يدل على مدى تأثرهم بالعقيدة الجديدة، بنشرهم المبادئ الإسلامية عن طريق أشعارهم التي تنتشر سريعا في مختلف الأماكن، فكان الشعر من الأسباب التي ساهمت في نشر تلك العقيدة.**

**( ب ) الدعوة إلى الجهاد: وهو الغرض الذي قيل في شعر الفتوح خاصة، وفي باقي المواضيع، فالجهاد من الفرائض الهامة التي فرضها الإسلام على المؤمنين، وهو حمل السلاح والوقوف في وجه من يواجه الدعوة الإسلامية. وقد حث القرآن على الجهاد في آيات كثيرة، كما حث الرسول ز عليه، ومن بعده الصحابة، لذلك أخذ المسلمون يتسابقون لحمل السلاح ومقاتلة الأعداء، لأن للمجاهد درجة عالية، ومن يقتل في سبيل الله فهو شهيد وثوابه الجنة، فتهافت المسلمون على الجهاد، ومنهم الشعراء، وكانت نتيجة هذا الشعر الذي قيل في غرض الجهاد والدفاع عن الدين الجديد، بروز المناقضات الحادة بين الشعراء المنتمين إلى الأحزاب المختلفة، ويمكن تحديد بداية نشاط هذا الشعر السياسي (المناقضات) ببيتين لـ"ضرار بن الخطاب"، وهو شاعر من قريش، قالهما في "سعد بن عبادة" و"المنذر بن عمر" الأنصاريين:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تداركتَ سعدٌا عنوةٌ فأخدتَه** |  **\*\*** | **وكان شفاءٌ لو تداركتٌ منذرٌا** |
| **لو نلتَه طُلّت هناك جراحُه** |  **\*\*** | **وكان حريا أن يهان ويُهـدرا** |

**وقد أجابه "حسان بن ثابت" شاعر الرسول (ص) بقوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لستَ إلى سعـدٍ ولا المـرءِ منذرٍ** |  **\*\***  | **إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمّرا** |
| **فلا تكـن كالوسـنان يـحلـم أنه** |  **\*\*** | **بقرية كـسرى أو بقـرية قيصرا** |

**ويستمر نشاط الشعر بين المسلمين والمشركين، ثم فيما بعد بين الأحزاب، ليبرز أكثر غرض الهجاء والمدح، إلى جانب تصوير الشعر لمعظم المعارك التي حدثت بين هؤلاء، فكان سجلا لتصوير الغزوات والمعارك. إضافة على كل الأشعار التي قيلت في الفتوحات الإسلامية، وقف الشعراء يحثون بقصائدهم ويدعون المسلمين إلى الجهاد بقصائد حماسية مدوية تصور جهادهم وبسالتهم.**

**( ج ) المدح والفخر: وهما من أغراض الشعر الجاهلي، ولكن القيم التي كانت تدفع الشاعر الجاهلي إلى هذين الغرضين تختلف كثيرا عن القيم التي زرعها الإسلام في نفوس المسلمين، لذلك نرى الفخر قد اتخذ في الإسلام منحى جديدا يتوافق مع العقيدة الدينية الجديدة، فـ "علي بن أبي طالب" مثلا يفتخر في شعره بصلته بالرسول ز وبسبقه أهله إلى الشهادة، والدخول في الإسلام، يقول:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **محمد النبي أخي وصهري** | **\*\***  | **وحمـزة سـيـد الشهـداء** |

**أما المديح فقد ظل محافظا على مكانته في الأدب الإسلامي رغم تكرر الصيغ الشعرية القديمة فيه، إلا أنه ظل غرضا متداولا بكثرة، ومعظم شعر المدح قيل في مديح الرسول، فقد برز المديح النبوي بشكل جلّي في هذا العصر واختص فيه خاصة شاعر الرسول "حسان بن ثابت" ، أمّا مضامينه فهي الفخر برسالة الإسلام، فبدلا من توزيع الكلام بغير حساب على أصحاب النفوس الضعيفة والمبالغة والكذب في المدح، توجه الشعراء إلى المدح الذي يقول ما في الشخص دون زيادات أو مبالغات، ومن قصائد المدح قصيدة "كعب بن زهير" (البردة)، وكذلك الشعر الذي قاله "حسان بن ثابت" في مدح الرسول (ص)، ومنه قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أغـرُّ، علـيه للـنـبوة خـاتـم** | **\*\*** | **من الله من نـور يـلوح ويشهدُ** |
| **وضم الإله اسم النـبي إلى اسمه** | **\*\*** | **إذ قال في الخمس المؤذن: أشهدُ** |

**( د ) الرثاء: إذا كان الرثاء في الجاهلية ذرفا للدموع، وأسى في القلوب، وحدادا على الأموات، وندبا ووعدا بالثأر والانتقام، فإن الرثاء في الإسلام يختلف في بعض جوانبه، فالشاعر الإسلامي ملتزم بعقيدة دينية تحدد له أبعاد الرثاء ضمن المعاني والقيم الإسلامية، فقد تضمّن معاني جديدة مثل رحمة الله ونيل جنّته والاستسلام للقضاء والقدر، كما تسابق المسلمون إلى الموت والاستشهاد في الجهاد، فكان الموت مفخرة من المفاخر التي يعتز بها المسلم، ومثال ذلك "الخنساء" أميرة شعر الرثاء في الجاهلية. لما أدركت وحضرت حرب القادسية (بين المسلمين والفرس)، ومعها بنوها الأربعة، حثتهم على القتال، ولما استشهدوا جميعا قالت: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم). ورغم ذلك فإن فقدان العزيز يؤثر في النفس البشرية، وإن قل البكاء والنحيب فالتعبير عنه لا مناص منه، فقد رثى المسلمون شهداءهم، وبكى المشركون قتلاهم، ومن الذين رثوا شهداء "غزوة أحد"، كعب بن مالك الذي قال:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وقـتـلاهم في جنان النعيم** | **\*\***  | **كرامُ المـداخل والمخـرج** |
| **بما صبروا تحت ظل اللواء** |  **\*\*** | **لواء الرسول بذي الأضوج** |

**كما عبر معظم الشعراء المخضرمين عن حزنهم بعد موت الرسول (ص)، ومن قصائد الرثاء التي قالها "حسان بن ثابت" عن رثائه:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بطيبة رسـم للرسـول ومعـبـد** |  **\*\*** | **منير، وقد تعـفو الرسوم وتهمد** |
| **ولا تنمحي الآيات من دار حرمـة** | **\*\*** | **بها منبر الهادي الذي كان يصعد** |

**وبعد وفاة الخلفاء الراشدين جاء الشعراء يرثونهم معددين فضائلهم، وصلتهم الوثيقة بالرسول(ص)، ويعددون مآثرهم التي قدموها للإسلام والمسلمين، ويعبرون عن سخطهم واستيائهم من الأجواء التي وصل إليها المسلمون بعد مقتل "عثمان بن عفان".**

**المراثي النبوية أو الرثاء النبوي:**

**كان لوفاة الرسول (ص)هزة عنيفة في المجتمع الإِسلامي آنذاك، وتحولت بيوت الصحابة ومجتمعاتهم إِلى مآتم تضج بالندب والبكاء، فالتاعت القلوب وتقرحت المآقي، وانطلقت القرائح تندب فقيد الإِنسانية ومعلمها الأكبر ورسولها الأشرف ودليلها الهادي. ومن أجود ما قيل في ذلك عقب وفاته عليه الصلاة والسلام قصيدة حسان بن ثابت التي جاء فيها:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بطيبَةَ رسمٌ للرسولِ ومعهدُ** |  | **منيرٌ، وقد تعفو الرسومُ، وتهمدُ** |
| **ولا تتمحي الآياتُ من دار حُرمةٍ** |  | **بها منبرُ الهادي الذي كان يصعدُ** |
| **فبوركتَ يا قبرَ الرّسول، وبوركتْ** |  | **بلادٌ، ثوى فيها الرّشيدُ المُسدّدُ** |

**كما كان لوفاة الرسول (ص) وقع عظيم على ابنته فاطمة الزهراء، مما جعلها ترثيه بأبيات شعرية راقية تعبر عن لوعتها وحزنها الشديد، ومما قالته في رثاء والدها:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **اغبـرَّ آفــاقُ السّماء وكُوِّرَتْ** |  | **شمسُ النهار وأظلم العصــران** |
| **فالأرضُ من بعد النبي كئيبــةٌ** |  | **أسفاً عليه، كثيــرةُ الأحــزان** |
| **فليبكـه شرقُ العباد وغربُهــا** |  | **وَلْتَبْكِهِ مضـرٌ وكــلُّ يمان** |

**وقالت، بعد أن أخذت قبضة من تراب قبره الشريف وشمته:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ماذا على من شم تربة أحمــد** |  | **أن لا يشم مدى الزمان غواليا** |
| **صبــت علـي مصائب لو أنهـا** |  | **صبت على الايام عدن لياليـا** |

**وقد رثاه أيضا الخلفاء الراشدون،إذ قال عمر بن الخطّاب في قصيدة وهو يبكي رسول الله (ص)، ويذكر مصابه الأعظم الذي هدّ ركنَه، ولم يحزن عليه أحدٌ حزنَه:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ما زلتُ مُذْ وُضع الفراشُ لحينه** |  | **وثوى مريضا، خائفًا أتوقّعُ** |
| **شفقًا عليه أن يزولَ مكانُهُ** |  | **عنّا، فنبقى بعدَه نتفجّعُ** |
| **نفسي فداؤُكَ، من لنا في أمرنا،** |  | **أمْ منْ نشاوره إذا نتوجّعُ** |
|  |  |  |

**ومن رثاء علي بن ابي طالب قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **من بعد تكفين النبي ودفنه** |  | **نعيش بآلاءِ ونجنح للسلوى** |
| **رزئنا رسول الله حقا فلن ترى** |  | **بذلك عديلاً ما حيينا من الردى** |

**( هـ ) الهجاء: تعرض شعراء الجاهلية بهجائهم لذكر العيوب والعورات، فازدهر كثيرا، وأصبح له أثره الكبير في نفوس الناس، ولما جاء الإسلام استمر الهجاء كغرض، من خلال أشعار القرشيين الكفار، وأشعار المدافعين عن الدين، بعد أن سمح لهم الرسول بالرد على تهجمات شعراء قريش،لكن هجاؤهم كان مهذبا مختلفا عن هجاء القرشيين، وتحوّل الهجاء عندهم إلى السخرية من الكفار والإشادة بالقيم الإيجابية كالكرم والشجاعة والإيمان وذمّ القيم السلبية كالبخل والجبن، ومن أشهر شعراء الهجاء في صدر الإسلام "حسان بن ثابت"، و"كعب بن مالك"، و"عبد الله بن رواحة". يقول "حسان":**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لنا في كل يـوم من معدٍّ** | **\*\*** | **سباب أو قـتال أو هـجاءُ** |
| **فنحكم بالقوافي من هجانا** | **\*\*** | **ونضرب حين تختلط الدماءُ** |

**لقد عج عصر صدر الإسلام بالحرب الكلامية، وخاصة الشعر الهجائي بين المسلمين والكفار، ثم فيما بعد فيي العصر الأموي بين شعراء الأحزاب السياسية، وأخذ في أكثر الأحيان صورة المناقضات الشعرية، وفي بعض الأحيان صورة المزاجرات، والمناقضة تعني أن ينقض الشاعر ما قاله خصمه بضد ما جاء به من حيث الموضوع، وأن يلتزم بقافية القصيدة وبحرها ورويها، ومن أمثلة ذلك، قول "أبي سفيان":**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أَرَهْـطَ ابن أكَّالٍ أجيبوا دعاءه** | **\*\***  | **تعاقدتم، لا تسلموا السيد الكهلا** |
| **فإن ابـن عـمـرٍو لئـامٌ أذلـةٌ** |  **\*\*** | **لئن لم يكفوا عن أسرهم الكبلا** |

**فأجابه "حسان بن ثابت":**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لو كان سعدُ يوم مكة مطلقا** | **\*\*** | **لأكثر فيكم قبل أن يُؤسر القتلا** |
| **بعضبِ حسامٍ، أو بصفراء نبعة** | **\*\*** | **تحن إذا ما أنبضت، تحفر النبلا** |

**وهذا شيء من نقائض صدر الإسلام، ومضمونها الهجائي لا يختلف عما كان عليه في العصر الجاهلي، ولم يقتصر هذا النوع على الشعراء فحسب، بل شاركت فيه الشاعرات أيضا. تقول "هند بنت عتبة" زوجة "أبي سفيان" معبرة عن حقدها على المسلمين لقتلهم ذويها في "بدر"، ومفتخرة بانتصار قومها في "أحد":**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **نحن جزيـناكم بيـوم بدر** | **\*\*** | **والحرب بعد الحرب ذات سعرِ** |

**وترد عليها "هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب":**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خزيتِ في بـدر وبعـد بدر** | **\*\*** | **يا بنـتَ وقَّـاعٍ عظـيمِ الكفرِ** |

**ختاما يجوز القول أن للإسلام أثر عظيم في ترقيق الشعر عامة وشعر أصحاب الرسول (ص) خاصة، فكما غيّر في معالم الحياة في الجاهلية وأطاح بالكثير من العادات والقيم الجاهلية، فقد غيّر في الشعر ما يتنافى مع الصورة المثلى التي أرادها الله عزّ وجلّ لخلقه، واستبقى على ما يتماشى مع روحه، وهذّب ما أمكن تهذيبه، وقد كثر في الشعر الإسلامي استعمال ألفاظ القرآن وأساليبه وتشابيهه وتوليد المعاني من العقيدة الإسلامية، كما شاعت فيه الكثير من الألفاظ الإسلامية كالجنة والنار والصيام والزكاة والصلاة والثواب والعقاب والبعث والنشور وغيرها ..إضافة إلى أثره في ظهور الأغراض الشعرية الجديدة التي واكبت ظهور الدعوة ونشرها . لكن يجب التنبيه إلى أن القصيدة العربية من حيث بنائها ظلت على ما كانت عليه في العصر الجاهلي من استهلال بالغزل أو الأطلال وذكر للأحبة والانتقال من غرض إلى آخر حسب مشيئة الشاعر ونفسيته وسياق القصيدة.**

1. سورة الأنبياء، الآية 5، سورة الشعراء، الآية 224، 227، سورة يس، الآية 69، 70، سورة الصافات، الآية 36، 37، سورة الطور، الآية 29، 31، سورة الحافة، الآية 38، 41. [↑](#footnote-ref-2)
2. سورة يس، الآية 69، 70. [↑](#footnote-ref-3)